العرب
الجمعة 2021/11/05
السنة 44 العدد 12231

فنان عراقي كردي يطهّر لوحاته من شوائب الانفعال

شوان عاصي مصطفى يرسم نساء هائمات في متون أحلام اليقظة

يضع الرّسام العراقي الكردي شوان عاصي مصطفى خلاصات فهمه الأكاديمي ضمن نسيج حرصه على ديمومة علاقاته الوثقى بالرسم المجرّد من أيّ تداخلات أو إضافات زائدة أو طارئة لا تقع خارج سياق ذلك الفهم القصدي الواعي والمدروس لخلاصاته، والتي من شأنها أن تُربك جدل العلاقة الروحية والعاطفية التي تنشدها وتتوق إليها لوحاته الغارقة في ينابيع ألوان صافية، طافية في فضاءات مبهجة ومريحة، قادرة على بث مفاتن جمال ووجوه أجسام نسائه الهائمات في متون أحلام اليقظة.

غريب ملا زلال
كاتب سوري

إذا كانت "اللوحة هي المساحة التي يتعرّف فيها الفنان على نفسه"، وفق ما قاله الفنان الراحل عمر حمدي الشهير بـ"مالفا" (1951 – 2015)، فهل هي كذلك لدى الفنان العراقي الكردي شوان عاصي مصطفى؟

يكفي أن نلقي نظرة سريعة على لوحته حتى نجده مبعثرا فيها، راسما سبله إلى نفسه ومجسّدا تلك الثنائيات التي تبحث عمّا يكملها، عمّا تناثر من ملامحها وعمّا تساقط، علها تستطيع أن تجمعها وتلم شملها باستراتيجيات خاصة تنشط دوافعها وتفتح حاويات مشاعرها لتتدفّق بقوة وغزارة حتى تغرق المشهد كله، غير آبهة بالمخاوف والحالات الانفعالية التي قد تظهر على السطح، ومع مرور الزمن قد ينخر المشهد ذاته، فلا بد من الاهتمام البالغ بها قبل أن تحدث فيها تطوّرات قد لا تستطيع الإحاطة بها لاحقا.

تخييل وكشف

البيانات الخاصة الحاصلة في لوحات مصطفى قد لا تتّضح من المشاهدة الأولى، إذ لا بد من ممارسة أكثر من مشاهدة واحدة حتى يبدأ الغموض فيها بالاتضاح رويدا رويدا وقد يصل إلى حد التلاشي تبعا لعدد المشاهدات.

تلك البيانات الخاصة التي يسعى الفنان العراقي الكردي لتوفيرها وإن بجرعات منقّطة ومقطّرة هي من الأمور التي ستتردّد أصداؤها دون أن يفقد المشهد جماليته، ستتردّد في خطوات متلاصقة وفي تنوّع جريء حتى تحافظ على مستواها المرتفع السار من الاستثارة.

> الفنان العراقي الكردي يظهر من خلال لوحاته مبعثرا فيها، راسما سبله إلى نفسه ومحرّكا ثنائيات تبحث عمّا يُكمّلها

فالطبقة الأكثر تركيبا والأكثر غموضا هي التي ينقذها المشهد من الملل الممجوج، ويرفع من قيمتها وبالتالي يزيد من جمالها، فالمسألة هنا احتمالية والعلاقة بين المشهد والأذواق هي علاقة تستوجب النظر إلى داخل كل مستوى من مستوياتها، وإلى كل عامل من عواملها كالعمر والثقافة والانتماء الاجتماعي والاقتصادي.. إلخ.

وحينها يمكن فهم تلك العلاقة وتباييناتها، وفهم تزايد تداخلاتها وما تتركه من أثر حين يعزّز تصوّراتها المطروحة بتقدير الاحتمالات التي تتوالد وتحتاج بدورها إلى قدرة عالية في الرؤية تمكنها من أن تخدم عوامل بقائها واستمرارها في المشهد نفسه.

وهذا يرفع من أهمية تكوين العلاقة بين المتلقي/ المتذوّق والعمل الفني، والتي ترفع من منسوب التخييل والكشف لدى الأول كما تزيد من خصائص الفراسة والتعبيرية لديه، والتي سترفع من درجة الثقة بينهما، وبالتالي ستنشط حالات المتعة لديه وتجمهرها حتى تصل بها إلى حالة من التوحد، حينها سيظهر المشهد أكثر جمالا وأكثر حياة.

توقّع ما سيكون

شوان عاصي مصطفى المولود في كركوك عام 1968، وكشكل من أشكال التركيز على المضمون الخفي غير الظاهر في منجزه الفني وموازاة مع التركيز على الطريقة التي من خلالها أبدع هذا المنجز، يسعى للارتباط بعمليات التوقّع أو الاستباق لما سيأتي، وقد يظهر في مواجهته أكثر من منحى بعضها ضمني كامن وبعضها الآخر واضح وصريح، وعليه أن يعتمد على أحدها، وسيكون من الأولى حتما، من الضمني الكامن الذي سيجعله متعاطفا معها وإن كان فهمه لها مغايرا، فهو يركّز على ضرورة فهم تجربته الجمالية.

ولهذا يركّز أكثر على تلك الاستجابات السلوكية التي تخلقها هذه التجربة في المتلقي على نحو عام، وفي ضوء ذلك يمكننا القول إن مصطفى قد يخلق شرخا في ذائقة متلقيه، أو لنقل انقساما فيها، ولكل طرف منها حرية الاختيار، وليس لمصطفى أن يستبعد أيا منهما، عليه فقط أن يدع ذائقته الخاصة جانبا وهذا قد يثير الدهشة ذات الأثر الإيجابي الذي يقوم على منطق السبب والنتيجة، أو على التوازي السردي الذي يتم من خلال الزمن غير السائد غالبا، أو بلغة أخرى على أساس من تداخل الأزمنة مع الاهتمام بما تطرحه من أسئلة لا بما تقدّمه من إجابات.

كما أن انفعالات أو عمليات معرفية أخرى قد تدخل على الخط لتحريض عملية المشاهدة لدى المتلقي حتى تبدأ المعاني والدوافع والاهتمامات بالتوالد، وهذه إحدى الحالات الخاصة في فهم المنتج وهو يتأرجح في دواخله بين الانفعال والمعرفة مع عدم إغفال عملية الفردانية للمتلقي ذاته، وهذه أمور جدير أخذها بعين الاعتبار.

فنان يفهم سيكولوجية متلقيه

سعي لاستباق ما سيأتي

وقد تصل بنا هذه الانفعالات الخاصة إلى حالة من الفهم لبعض العلاقات المركبة الموجودة بين انفعالاتنا التي قد تقرّبنا من مقولات المنتج، أو من التعاطف معها على الأقل؛ فالإشارة إلى ما حدث، أو إلى ما يمكن أن يحدث، أو إلى ما سيحدث هي عمليات تطهير شاملة لمجمل الجوانب الانفعالية والمعرفية تميل في جوهرها إلى ربط المتلقي بالمنتج بكل أحلامه وآماله.

الشيء اللافت للاهتمام أن مصطفى يفهم سيكولوجية متلقيه، ويدرك أن المتلقين يفضلون المثيرات البصرية التي تتّسم بدرجة ما من جهد الاستثارة الذي سيشير بدوره إلى مجموعة دلائل ستميل به نحو الاستجابات الجمالية غير المألوفة، وكلما ارتفعت نسبة الجهد المشار إليه ارتفعت درجة الاستجابات.

ومن هنا تبرز أهمية عامل الجدة في رفع القدرة على إثارة الاهتمام والانتباه، التي تقوم في النهاية على أساس الحاجة إلى التواصل مع المتلقي، وهو أمر يحدث على نحو تدريجي، وبقدر ما تواجد متلقّ خاص كانت التفسيرات مقنعة بالتغيرات الجمالية.

وشوان عاصي مصطفى يمكن أن تأخذه تلك التغيّرات في محتواها الجمالي، وهي ليست تنبؤات خاصة محدّدة حول التتابع الخاص بالمحتويات، بل هي تأكيدات على أن تلك التغيّرات موفّقة بدرجة كبيرة وتحقّق قفزة للقيمة المعطاة لها، فما تفعله من خلال النظام المنتج للعمل المبدع سينعكس حتما في مستواها القيمي، خاصة إذا أدركنا أن العمل المبدع طارد للضغوط المناوئة له، وهذا يزيح عن كاهلها كل ما يمكن توقعه.

والفنان العراقي الكردي يدرك جيدا أهمية البعد عن المألوف، فكما الشعر يفقد الكثير من خصائصه إذا تحوّل إلى نثر كذلك حال العمل الفني/ اللوحة الذي لن يحقّق أثره المنشود من وراء إبداعها ما لم تحافظ على لغتها الخاصة التي تكون في حال بناء دائم، والتي تجعل كل التوجهات البنائية أو التركيبية ممكنة فقط عبر المرور بخبرة الأثر الانفعالي الناتج عن عمليات التغيير والتجديد.

لوحات لا تخلخل الذائقة شكلا ولا تستفزها لونا

السوري شفيق أشتي يمزج بين البشر والحجر في لوحات تنتصر للحياة

دمشق – اختار الفنان التشكيلي السوري شفيق أشتي "روح باليرا" بأمجادها ومعابدها عنوانا ومضمونا لمعرضه المقام حاليا في خان أسعد باشا بدمشق القديمة.

ويضمّ المعرض ثمانين لوحة جسّدت ثمانين حكاية وقصة عبّر عنها أشتي بكل أحاسيسه وطاقاته وتقنياته وخبرته الطويلة التي امتدت لما يزيد عن أربعة عقود.

وباليرا كما تسمى باللاتينية هي تدمر الآن، وهي مدينة أثريّة ذات أهمية تاريخية كبيرة، تقع حاليا في محافظة حمص بالجزء الأوسط من دولة سوريا. ويعود تاريخ المدينة القديم إلى العصر الحجري الحديث، وورد ذكرها في السجلات التاريخية، للمرّة الأولى، في الألفية الثانية قبل الميلاد، وانتقلت في تلك الفترة بين أيدي عدّة دول حاكمة إلى أن انتهى بها المطاف تحت سلطة الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول بعد الميلاد.

وكانت تدمر مدينة كبيرة الثراء بفضل موقعها الذي كان يقع عند نقطة تقاطع العديد من الطرق التجارية في العالم القديم. وقد اشتهر التدمريون بمدن كثيرة أقاموها على طريق الحرير، وهو أحد أهم الطرق التجارية القديمة (والذي امتدّ من الصين غربا إلى أوروبا شرقا)، كما ساعدتهم علاقاتهم التجارية مع الإمبراطورية الرومانية. وقد خوّلتهم أرباح تجارتهم لتعمير أبنية هائلة في مدينة تدمر، مثل كولوناد تدمر الكبير ومعبد بل وقبور قائمة على هيئة أبراج.

وكان النظام الاجتماعي في المدينة قائما على القبيلة والحكم العشائري، وكانت ثقافتها متأثّرة بدرجة كبيرة بالعالم اليوناني الروماني، حيث أن نمطها المعماري والفني يجمع أنماطا رومانية ويونانية مع الأنماط الفنية الشرقية.

وعن فكرة المعرض المنطلقة من الأوابد الأثرية القديمة التي تحكي أساطير وتاريخ البلد، وصولا إلى الحرب على سوريا قال أشتي "عند مشاهدتنا لأي عمل من هذه الأعمال نشعر بالأنين والوجع من خلال خطوط اللوحات المتكسّرة والمنحنية والمتقوّسة، والتي تُشعر المشاهد بالألم والظلم والهروب والاضطراب وتعكس أحاسيسنا في فترة عصيبة مرت بها بلادنا".

ويشير الفنان السوري المخضرم إلى اعتماده لأسلوب يُقارب الفن الملحمي ويدمج بين خطوط العمارة والإنسان، حيث تعبّر خطوط اللوحات عن الواقع الذي يعيشه السوري في الزمن الصعب.

ويبحث التشكيلي أشتي عن متنفّس للأمل في لوحاته، وهو دائما يستثمر المساحات الضوئية ليتنفّس منها العمل.

ويؤكّد أشتي أنه يتعامل مع التقنيات ويعطيها دورها ويستنبط منها أفكاره لينطلق منها إلى حوار داخلي بينه وبين اللوحة حتى تظهر بكل عفوية للمتلقي.

وهو الذي تغلب على لوحاته في معظمها الألوان الحارة مع لمسة باردة أو العكس، وبعض اللوحات تكون مربعا ضمن مربع أو مستطيل ضمن مستطيل ويختمها في بعض الأحيان بقوس مضيء ليضيف حالة روحية بليونة الخط المنحني وتزاوجه بذاك الخط المنكسر.

ويُدمج الفنان في أعماله بين الروح واللون، فيبثّها شعورا بالرقص والسحر والتفنّن، وهو لا يقدّم في لوحاته رؤى كلاسيكية مدروسة حسب اعتبارات محدّدة، إنما تفيض جرأة جميلة باللون ممزوجة بفكرة غير واضحة لترك التوضيح والإحساس للمشاهد، هي أعمال ملأى بالزوابع والعواصف والرقص والحركة، وتبدو مختلفة بعد كل مشاهدة جديدة، حيث تخلق اللوحة بينها وبين المتلقي نوعا من الحوار والاكتشاف.

تكوينات فريدة تمزج بين البشر والحجر، أي العنصر البشري مع الخلفية المعمارية للأوابد الأثرية، وهذا المزج أدى إلى تكوين متماسك مترابط بقوة، كما خلق حالة من الحلم، السفر والمتعة بروح محلية سورية.

هكذا حاول الفنان أشتي أن يغني تجربته الفنية عندما استلهم من روح باليرا ذات العلاقة العميقة بالواقع وبالمشاعر الإنسانية بعض الرموز الحية مثل الطائر، والثور، والحصان، والأسد.. وهي رموز تمثّل القوة والتحدّي والصراع.

رموز قام بإعادة توظيفها على مسطح لوحاته بما يناسب العصر، لم تكن قيمة مجرّدة وإنما هي قدرة على إعطاء الرموز بعدها المتجدّد، لذلك خلقت هذه الرموز معادلا بين الحكاية المأساوية والرموز التي تخدمها وتناقضها؛ وهنا يبدو تصويره، مثلا، للحظة الموت، لحظة "الشهادة" التي هي من واقع الأمر لحظة هجران قاسية، تزفّه ترانيم جنائزية طالما ردّدها في ألوانه وخطوطه سواء في الخلفية أو في تجسيد الظل والنور.

ومع هذا اختار الفنان "تاج تدمر"، رمزا للتعبير عن انتصار عدالة الإنسان، وهو بذلك يُعيد تشكيل الحكاية التاريخية وفق رؤيته لها، ووفق وعيه لعملية استلهام الجانب القصصي البطولي من خلال تركيزه على الإنسان باعتباره المحرّك الأول وصانع التاريخ ومغيّر الحياة.

وأشار التشكيلي ناصر عبيد إلى أن ثقافة الفنان أشتي أكسبته الخبرة ومكّنته من القدرة على فهم وتشريح الحالات الإنسانية، وتطبيق هذه الحالات على أعماله التي أنتجها وجسّدها في آثار تدمر وآلام أوابدها وحزن الإنسان في سوريا، معتبرا أن أعماله راقية جدا بكل تقنياتها المستخدمة.

> الفنان السوري يشكّل من الأوابد الأثرية القديمة لوحات حديثة تسرد قوة الإنسان صانع الحضارات

والتشكيلي السوري شفيق أشتي من مواليد السويداء عام 1958، وفيها درس بمركز الفنون التشكيلية، ثم تابع دراسته في كلية الفنون الجميلة بدمشق وتخرّج من قسم التصوير الزيتي، وحصل على درجة الدكتوراه في أكاديمية بطرسبورغ الروسية للفنون في فلسفة العلوم الفنية، وهو عضو في الهيئة التدريسية بكلية الفنون الجميلة بدمشق منذ عام 1989. وله العديد من المعارض الفردية والجماعية داخل سوريا وخارجها وأعماله مقتناة في العديد من دول العالم.

دمج بين خطوط العمارة والإنسان